الآلات الموسيقية وارتباطها بمظاهر الحياة في العصر القديم

د. ناصر ناجي بن جابر
د. إبراهيم سالم الحرك
كلية الفنون والاعلام جامعة طرابلس

المقدمة :

إن تاريخ الآلات الموسيقية قديم قدم الحياة ، ودارسة الآلات الموسيقية القديمة تعتمد في مصادرها بالدرجة الأولى على ما قد تم اكتشافه من آثار حجرية، وعظام وقطع معدنية، من قبل علماء الآثار، فباستثناء بعض المخطوطات الضئيلة فإنه بالتأكيد لا يوجد تسجيل صوتي، أو تدوين موسيقي يعود لتلك الفترة، وذلك على عكس دارسة الآلات الموسيقية في الحديثة، حيث مازالت الآلات مستخدمة؛ مما يوفر إمكانية أفضل للدارسة، خاصة في الجانب المتعلق بالناحية الموسيقية، والأبعاد المجتمعية والثقافية .

ونتيجة لبعض المعتقدات القديمة ودفن بعض الآلات الموسيقية مع الموتى بالإضافة إلى توارث هذه الآلات فقد تبقت العديد من الآلات الموسيقية التي ترجع إلى عصور مختلفة ، كما أن لكثرة تصوير مناظر الطرب وغيرها من مناظر الحياة اليومية التي كان الطرب أحد متطلباتها ، فقد أمدتنا النقوش الجدارية والتحف التطبيقية والمخطوطات بإشكال مختلفة من الآلات التي قد اختفى او قل استعماله، ليس ذلك فحسب بل ان العصر الإسلامي قد شهد نوعا جديدا من التأليف الموسيقية التي تعطى أوصافا كاملة لكل الآلات الموسيقية وقت كتابة المخطوط ، ومن أمثلة تلك المخطوطات مخطوط جامع الألحان لعبد القادر بن غيبى (القرن 8هـ)،(وكنز التحف) لصفى الدين الشيرازى (منتصف القرن 8هـ) ، وغيرهما [1] .

1. ابو علي الحسن بن عبدالله .(ابن سينا) جوامع علم الموسيقى، من كتاب الشفاء، ص 139

أهداف البحث

تهدف هذه الدراسة بالاعتماد على المكتشفات الأثرية في إعادة تركيب شكل وصورة الآلات الموسيقية القديمة قدر المستطاع؛ إذ لا يمكن معرفة كافة جوانب تلك الصورة كما يجب، فالقطع الأثرية لا تستطيع أن تُعط أكثر من معلومات مبهمة مجازة عن الصوت الموسيقي في العالم القديم، بالإضافة إلى أن كثير من هذه الآثار قد تآكلت، أو دمرت كلياً، بحيث لم تعد تظهر كما كانت سابقاً. كما ويصعب من خلال المكتشفات الأثرية تحديد الظروف الاجتماعية، والحالة النفسية المرافقة للآلات الموسيقية، سواء للمستمعين أو للعازفين، وكذلك ردود فعلهم حول ما يسمعون ويعزفون من موسيقى، فالعلاقة الصوتية بين الإنسان وبيئته في العصور القديمة تختلف اختلافا كاملاً عما هي عليه في الوقت الحاضر، إلا أن الباحثان يرى هذه المكتشفات قادرة على إعطاء صورة جيدة حول طبيعة الآلات الموسيقية المستخدمة في تلك العصور. وقد شملت حدود الدراسة كافة الآلات الموسيقية في العصور القديمة، والتي استطاع الباحثان الوصول إليها، والتعرف عليها، سواء من خلال المكتشفات الأثرية، أو من خلا دراسة العهد القديم.

مشكلة البحث

أما بخصوص مشكلة الدراسة يرى الباحثان أنه بالرغم من أهمية الآلات الموسيقية الشعبية، كجزء من التراث الشعبي، وبالإضافة إلى الدور الكبير الذي لعبته ومازالت تلعبه في حياة المجتمع، إلا أنها لم تلق حقها من الدراسات العلمية والتحليلية التي تليق بأهميتها ودورها ومكانتها عبر التاريخ. من هذا المنطلق سيقوم الباحثان بدراسة هذه الآلات للتعرف على أهم الجوانب التاريخية والموسيقية والاجتماعية لها.

خطوات البحث :

انقسمت الآلات الموسيقية منذ ظهورها إلى ثلاثة أنماط رئيسية يتفرع عن كل منها فروع ثانوية والأنماط الثلاثة هي :

أولا – الآلات الوترية

ثانيا – الآلات الإيقاعية

ثالثا – الآلات الهوائية أو آلات النفخ .

اولا– الآلات الوترية :

وتنقسم هذه بدورها إلى آلات تعزف بجذب الوتر وأخرى يستعمل فيها القوس والأولى أُقدم عهدا من الثانية ومنها :

1 – الجنك :

لفظ فارسي المنشأ ، وتدل على آلة موسيقية وترية ، تلك الآلة التي يطلق عليها باللغة الانكليزية أم (هارب) ..

ويرجع تاريخ هذه الآلة طويل ففي بلاد الرافدين يرجع تاريخ ظهورها الأول في الوركاء إلى حدود 3000 سنة قبل الميلاد وبعد استعمالها من قبل السومريين استعملها الاكديون والبابليون والكيشيون، إن أول وأقدم آلة الجنك هو النوع المقوس او المنحني الذي يراه علماء الموسيقى بأنه قد تطور من قوس الرماية اما النوع الثاني هو حنك الزاوية حيث تنشأ زاوية قائمة أو حادة من اتصال حامل الأوتار بالصندوق الصوتي [2] .

ويتألف الجنك من صندوق صوتي شبيه بالزورق في إحدى نهايتيه ساق أو عنق يتجه إلى الأعلى لتثبيت الأوتار التي تتصل بالصندوق الصوتي الرنان بصورة مائلة ، ولهذا السبب، ويتألف الجنك من صندوق صوتي شبيه بالزورق في إحدى نهايتيه ساق أو عنق يتجه إلى الأعلى لتثبيت الأوتار التي تتصل بالصندوق الصوتي الرنان بصورة مائلة ، ولهذا السبب يكون الوتر الخارجي أطول من جميع الأوتار والوتر الداخلي اقصرها .. إن أقدم مشهد لهذه الآلة الوترية يعود إلى النصف الثاني من عصر الوركاء كما ظهرت على طبعات الأختام الاسطوانية ،وقد عثر ببعض المدن والمواقع القديمة مثل اور والخفاجي وتل أجرب وغيرها على أحجار مثقوبة في الوسط نحت عليها بالنحت البارز مشاهد لولائم الشرب والمركبة الملكية ، ويظهر في النحت الملك وزوجته جالسين بصورة متقابلة ، بينما يجلس بينهما موسيقي يعزف على آلة الجنك . كما عثر في المقبرة

2 – رشيد صبحي أنور .الموسيقى في العراق القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد.1988 ص 31.

الملكية في اور على بقايا أصلية لعدد من الآلات الموسيقية ومن بينها آلة جنك مصنوعة من الخشب ، ولكن ومع الأسف الشديد كانت بحالة غير جيدة إذ لعبت الظروف الطبيعية معها لعبتها مما أدى إلى تلف القسم الأكبر منها كما عثر على مجموعة من الألواح الطينية الصغيرة والتي يرتقي زمنها إلى العصر البابلي القديم والتي تحمل مشاهد بارزة لعازفين على آلة الجنك كما عثر على ما يسمى بأحجار الحدود (كودورو) تعود إلى الفترة الكيشية ، وقد نقلها احد ملوك العيلاميين إلى مدينة سوسة وهي تحمل رموزا وكتابات مسمارية ، تحمل إحدى هذه الأحجار مشهدا منحوتا بالنحت البارز يمثل الهة جالسة وفي حضرتها يقف الملك (ميليشيخو) الذي يقود ابنته لتقديمها الى الهة (ننا) ،وتحمل ابنة الملك آلة الجنك على صدرها وكتفها الأيسر وهذه الآلة تشبه آلة أخرى من العصر البابلي القديم ، كما وجد طبع لختم اسطواني من نوزي يعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد عليه رسم لهذه الآلة أيضا ، أما في العصر الأشوري فقد وجد شكلين متقاربين ما آلة الجنك وهو ما يميز الجنك الأشوري ، فالشكل الأول يكون الوجه الخلفي للصندوق الصوتي مقوسا والساق الحامل للأوتار في وضع أفقي والصندوق الصوتي متجها إلى الأعلى ،أي أن الآلة تكون في وضعية عاموديه إثناء العزف عليها ، أما النوع الثاني من الجنك الأشوري فيكون فيها الصندوق الصوتي طويلا وطرفه الأمامي مائل إلى الأعلى وأضيق من الخلف ، وان العازف يحملها بصورة أفقية ويكون حينها اتجاه الساق الحامل للأوتار من الأعلى إلى الأسفل ، وقد وجدت عدة اثأر أشورية تحتوي على مشاهد وصور لآلة الجنك .

ويعد الجنك من أقدم الآلات الوترية إذ ظهر في مصر في نقوش الدولة القديمة ، ويقال أن أول من صنعه ((شهريار بن خاقان)) وسماه جنك وتعنى بالفارسية زخم لأن له زخم عظيم إذا ضرب به ولحسه دوى إذا اشتدت أوتاره [3] . ومنه عدة أنواع أهمها الجنك الزاوي (المثلث) والذي ظهر لأوّول مرة في الفرق الأسيوية الخاصة بأمينوفيس الرابع في الأسرة الثامنة عشر [4] .

3- ظمياء محمد بن عباس : من المخطوطات العربي في الموسيقى ، مجلة المورد ، العدد 4 م 13 ، بغداد 1984 ص 140

4- محمود ألحفني / موسيقي قدماء المصريين ، دار المطبوعات الراقية القاهرة 1936. ص 55

وتعد آلة الجنك ذي الحامل من أكثر الأنواع ظهورا في التصوير الفارسي وقد ظهر في النقوش منذ العصر الساسانى كما في مناظر الصيد في طاق بستان ،وعلى طبق من الفضة على الطراز الساسانى (القرن 8 م) محفوظ في متحف الأرميتاج في لينجراد) . ونظرا لما يتمتع به الجنك من قوة في الصوت فقد ظهر في مناظر الصيد .

2 – العود :

يقال أن أول من أحدثه النبي داود، وأن العود الذي كان يعزف عليه ظل معلقا ببيت المقدس بعد وفاته حتى دخول بختنصر وتخريبه للبيت [5] ، غير أن هناك حورس موسى كان أول عازف عود عرفه التاريخ ، كما يقال بأن يوبال أول من عزف العود والمزمار قبل الطوفان بحوالي 4000 سنة ق.م [6]. وظهر شكل العود في منحوتات أشور ناصر بال الثاني (883 – 859ق.م)

وقد ظهر العود فى النقوش المصرية القديمة ، أما عن إيران فيقال أن العود ظهر فى عهد شابور بن أردشير بن بابك (241_272م) ، ويطلق عليه الفرس أسم بربط [7] . وقد ظهر العود فى النقوش والتحف التطبيقية من العصر الساسانى كما فى طبق من الفضة يرجع إلى 6م محفوظ فى متحف الآثار فى طهران . وكذلك على طبق من الفضة يرجع إلى القرن (8_9م) محفوظ في متخف الأرميتاج فى لينجراد [8] .

ويعتبر العود من أحب الآلات لدى الفرس فظهرت منه أنواع متعددة على مر العصور ، فقد ابتكر (صفى الدين عبد المؤمن) (توفى فى 693هـ/1294م) العود المقوس والمسمى المغنى [9] .

وتعتبر الرسوم وغيرها من الأعمال الفنية مرجعاً للتعرف على شكل العود فى مختلف العصور .

---

5 – Farmr. (H.G .) Musikgeschi chte Abb.6

6– أحمد تيمور باشا ، الموسيقي والغناء عند العرب القاهرة 1963 ص 124 .

7 – Farmr. H.G .) OP . CIT ABB. 4 .

8 – Farmr. (H.G .) Music and musical . p 2796 .

9 – Farmr. (H.G .) Music and musical . p 2796 .

فقد تميزت رسوم العصر المغولي والنصف الأول من العصر التيمورى بنوع من العيدان الصغيرة الحجم والتي تأخذ الملاوى فيها شكل مروحة نصف نخيلية أو شكل نصف دائري ، إلى أن وصل فى أواخر العصر التيمورى إلى العود الكامل + المصرية وتمثل سلطان حسين ميرزا بايقرا فى مجلس طرب، كما يظهر نفس الشكل للعود فى تصويرة (برباد يعزف لخسرو) من مخطوط خمسة نظامى تبريز ، 946 _950 هـ (1539 1543م) في المتحف البريطاني (983_987 هـ (1575 _1579م) محفوظ فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . [10]

وبالإضافة إلى رسوم المخطوطات فقد ظهرت أشكال العود على التحف التطبيقية بكثرة مثال ذلك منظر داخل جامة مفصصة على باب مرسوم باللاكيه محفوظ في متحف جابر أندرسون بالقاهرة، وقد مثل العود بكثرة في التحف التطبيقية الإسلامية من مصر فقد ظهر على بعض من قطع الخزف ذى البريق المعدني مثال ذلك طبق من البريق المعدني الفاطمي محفوظ في متحف كلية الآثار جامعة القاهرة ، وعلى الأربطة الخشبية المأخوذة من بيمارستان قلاوون والتي ترجع إلى العصر الفاطمي ومحفوظة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة .

3. – الطنبور :

يعتبر الطنبور من أرقى الآلات الوترية ذوات العفق لذلك فهى تدل على مدى المدنية الموسيقية وقد وجدت منذ أزمان بعيدة فيقال أن أول من عملها قوم لوط [11] . ويوجد فى متحف اللوفر في باريس تمثال من التراكوتا (يرجع إلى القرن 8 ق.م) من سوسة ويظهر فيه الطنبور الطويل العنق [12] .

وعلى الرغم من أن الطنبور قد ظهر في الرسوم الدراية المصرية منذ آلاف السنين إلا أنه لم يظهر ف الآثار الإيرانية إلا فى العصر الإسلامي حيث تنوعت أشكاله فذكر الفارابي (950هـ) في كتابة الموسيقى الكبير نوعين من الطنبور، الخراساني وهو مستحدث فى عصره والطنبور القديم المعروف

10– د. محمد مصطفي : صور من مدرسة بهزاد في المجموعات الفنية . بالقاهرة لوحة 2 ترجمة محمد احمد عيسي . القاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة – 1995 . يتكون الكتاب من 22 صفحة و12 لوحة إيضاحية ملونة

11– صادق محمود الجميلي . الملاهي واسمائها من قبل الموسيقى . مجلة المورد . مجلد 13 العدد 4، بغداد، 1405هـ . 1984 م ص 35.

12 – Farmer (H.G) .. Op. cit . pp . 2784 – 84 .

بـ ((الميزانى)) وذكر ابن غيبى (توفى سنة 839هـ (1435م) نوعا آخرا يسمى ((الشيرفنان)) [13]. وكان الطنبور من أكثر الآلات ظهورا فى رسوم العصرين التيمورى والصفوى .

4 – الرباب :

يرجع كثير من مؤرخي الموسيقى أصل الرباب إلى الهند ، وأن أقدم آلة وترية وقع عليها بالقوس في تاريخ العالم هي آلة هندية ترجع إلى خمسة ألاف سنة قبل الميلاد، وتمسى (رفاناسترون) من وترين ، ولكن لم ينتشر استعمالها[14] . كما عرف الهنود منذ أكثر من أربعة ألاف سنة آلة بسيطة ذات قوس تشبه الربابة تمسى (سارندة) [15] . وقد عثر فى مقبرة (أور الملكية) على نقش يمثل حماراً يعزف على رباب ذات ثمانية أوتار . إلا أن هناك رأى يرجعها إلى أصل عربي فيروى أن أول من صنعها امرأة من آل طى تسمى (سعدا بنت عامر العبسى) [16]، وظل العرب منذ فترة الجاهلية وحتى عصر سلاطين المماليك يغنون عليها قصائدهم وأشعارهم ويرقصون عليها وكان الرباب محبوبا في إيران وبصفة خاصة فى خراسان ، وأطلق الفرس عليها لفظ كمنجة والتي تعنى قوس . وقد ظهرت الرباب في كثير من التصاوير والتحف التطبيقية في العصرين التيمورى والصفوى . وتعتبر قطعة الحرير المحفوظة في متحف الفنون الجميلة فى بوسطن ضمن مجموعة جولوبو والتي ترج إلى خراسان فى النصف الأول من القرن 15م من أوضح نماذج هذه الآلة [17]. كما ظهرت فى رسوم من مخطوط كليلة ودمنة هراة 834هـ (1430م) محفوظ فى متحف طوبقا بواسرى فى استانبول وتمثل (بايسنقر ميراز فى مجلس طرب) كما ظهرت فى رسوم من ديوان حافظ(أواخر القرن 9هـ / 15م) محفوظ فى دار الكتب المصرية (2 – أدب فارسى

13–صادق محمود الجميلي . الملاهي وأسمائها من قبل الموسيقى . مجلة المورد . مجلد 13 العدد 4، بغداد، 1405هـ . 1984 م ص 35 .

14– Pope,(A.U) Asutyey .vol. v . pl.851 .

15– د. محمود احمد الحنفي : الرباب أصل الآلات الموسيقية ، (المجلة الموسيقية . العدد 16 أبريل 1975. ص .3 .

16– اندري بارو : بلاد اشورنينوى وبابل (موسيقى بلاد الرافدين) ، ترجمة د. عيسى سليمان ، سليم طه التكريتي ، العراق سلسلة الكتب المترجمة (37) ،1980 ص 317.

17– د. نبيل محمد عبد العزيز . الطرب وآلاته في عصر الأيوبيين والمماليك ، الطبعة الأولي ، مكتبة الانجلو ، القاهرة 1980 ، ص 138.

خليل أغا) ورقة 20 ظهر وتمثل (حفل زواج) . وقد بلغت الرباب اكتمالها فى العصر الصفوى على يدي الموسيقى الماهر (عبد الله فريابى) [18] .

5 – القانون والسنطور :

السنطور آلة موسيقية وترية شرقية شبيهة بآلة القانون، لكنها تختلف عن القانون في طريقة العزف، وتُنطق بالفارسية "سنتور". وتحتوي على خمسة وعشرين وتراً معدنياً. وتكون مقسمة ومشدودة بشكل رباعي، فكل أربعة أوتار لها درجة صوتية واحدة؛ بذلك يبلغ عدد الأسلاك أو الأوتار في السنطور مئة وتر مع مفاتيح يبلغ عددها مئة أيضاً، وتقع على يمين الآلة، ويتوزع كل مفتاح لوتر منها مخصص للدوزان أو التيونك؛ لتضبيط الأنغام والدرجات الصوتية. [19]

كان القدماء المصريين أول من فكر في طرق الأوتار بمطرق , وقد اخذ عنهم الفرس هذه الآلة وسميت عندهم ((سنطير)) [20], وكان اسم قانون او سنطير يطلقان على آلة واحدة حتى القرن 15 م , ولكن ابن اياس ذكر عام 927 هـ (1520 م) الآلتين مما يدل على أنها كانتا متميزتين [21]. يعود تاريخ صنع وعزف آلة السنطور إلى 2500 سنة قبل الآن. وقد اكتشفت هذه الآلة لأول مرة في بابل، ولا تزال صورها على الأحجار المنقوشة موجودة في بابل حتى الآن. و انتشرت كآلة شرقية معروفة في إرجاء العالم . آلة السنطور هي من الآلات الموسيقية الشرقية، لها وجهين، السفلي أكبر من وجهها العلوي، ويفرق بينهما 5 ثقوب. تحوي الآلة على 76 وتراً بحيث تربط كل 4 أوتار على حزمة واحدة. إحدى أوتارها مصنوع من الحديد، والأوتار الأخرى تكون مصنوعة من البرونز و النحاس، وتكون ذات لونين أوتار بيضاء وأوتار ذهبية [22]

18 – Farmr. (H.G .) Music and musical . p 2801 .

19– تأليف . علماء الحملة الفرنسية / ترجمة زهير الشائب . الآلات الموسيقية المستخدمة عند المصريين / دار الشائب للنشر .10 ش. سليمان الحلبي – النوفيقية . 1993 ص 141 .

20 – El– Sanafawi , (F) .Op.cit Ne Number.

21– فارمر (هنري جورج) الموسيقي والغناء في ألف ليلة وليلة ، ترجمة : حسين نصار ، دار الفكر الحديث ، القاهرة .

22– د. طه ندا . فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية . الإسكندرية ، بدون تاريخ ص ، 105

ويبدو انه قد قل استعماله في بداية العصر الإسلامي أذا لم يرد في موسوعة الفارابي (الموسيقى الكبير) . أما ابن حزم, توفى في 457هـ (1064م), فقد أورد رسما له على شكل مثلث من 64 وترا , ولقبه بأمير الآلات الموسيقية . وقد أخد شكله تغير إلى الشكل المربع في بلاد الأندلس وانتقل منها إلي أوربا فظهر القانون المربع في رسوم الفريسكو في سقف الكابلا بالاتينا في باليرمو بصقليه (القرن12م) [23]. كما اخترع الموسيقى الماهر (صفى الدين عبد المؤمن), توفى وفى 693هـ (1293م) نوعا من القانون المستطيل. كما قال . د . نبيل عبد العزيز بين القانون والسنطير فقال : ما كان مربعا أو شبه منحرف من غير رجل زائدة يه فهو القانون, وما كان مستويا من جوانبه الثلاثة فيه رجل زادة فهو السنطير[24].

وتعد آلة السنطور آلية موسيقية تشبه آلة القانون إلا أنها تختلف عنها في طريقة العزف. فالقانون يتم العزف عليه بريشتين مصنوعتين من الفضة تلبس في سبابتي العازف، ثم ينقر بهما على الأوتار. أما السنطور فان العزف عليه يتم بالضرب على اوتاره بمضربين صغيرين من الخشب، ويقوم بتبديل الأصوات بتحريك الحمالات التي تسند الأوتار وهي عادة مصنوعة من الخشب .

وقد ظهر في تصويرة من خطوط كشف الهموم (القرن 14م) في طوبقا بوسراي في اسطنبول على شكل شبه المنحرف وقال المؤلف انه يسمى قانونيا في سوريا , وسنطيرا في مصر .

6 – الكنارة:

تعتبر من الآلات الموسيقية القديمة فقد ظهرت في النقوش المصرية التي يرجع تاريخها إلي سنة 2000 ق.م حيث يظهر متجولا أسيويا يعزف الكنارة , ويعتبر هذا أول ظهور لتلك الآلة [25] .

وتنسب الأساطير الأشورية اختراع الكنارة إلي احد ألهتهم والتي صنعها من ظهر سلحفاة وجدها على شاطئ النيل "[26], وقد ظهرت على كثير من المنحوتات الحجرية والاوانى الفخارية الأشورية. وتتفق

23 – Farmr. (H.G .) o. p cit s.194 .

24 – Farmr. (H.G .) Music and musical . p 2696

25– د. محمود احمد الحنفي . موسيقى الممالك القديمة ، القاهرة 1972 . ص54 .

26– د. محمود احمد الحنفي . المرجع السابق . ص 56 .

الكنارة مع الجنك لحد كبير , ألا أن أوتار الكنارة تثبت في أعلى على ساق أفقي مواز للصندوق المصوت وغير متصل به بل متصل بالساقين الجانبين , أما الجنك فتشد الأوتار في أعلى فوق الرقبة الخارجية مباشرة من الصندوق المصوت بصورة محدبة [27].

ويرجع أصل آلة الكنارة الفرعونية والني تسمي حاليا (آلة السمسمية) وكانت آلة الكنارة المصرية القديمة تشبه إلى حد كبير آلة الهارب الحالية إلا أنها أصغر حجما وبعدد سبعة أوتار مصنوعة من أمعاء الحيوان.

وصلت آلة الكنارة (السمسمية) إلى مدن القناة عن طريق أهل صعيد مصر الذين عملوا في حفر قناة السويس، وتطورت إلى آلة السمسمية الحالية وهي عبارة عن علبة من الخشب أو قصعة أو طبق صاج مشدود عليه جلد رقيق ولها ذراعان متباعدان يسميا المداد يربطهما ذراع ثالث على هيئة قاعدة المثلث تسمى حمالة، ويتم ربط الأجزاء بخيوط قوية وتزين بالخرز والنقوش ويكثر استخدامها في الزار وتتبع السلم السباعى ثم كان التطور إلى آلة السمسمية التقليدية الحالية مما يدل على أنها آلة مصرية خالصة.

ثانيا – آلات النفخ :

إن الآلات الموسيقية التي ابتكرها الإنسان وصنعها منذ القديم تكاد لا تعد ولا تحصى، وكان كثير من هذه الآلات يتصف بصفات متشابهة، ولاسيما القديمة منها، فاختلطت الأسماء فيما بينها حتى أطلق الاسم الواحد على آلات موسيقية عديدة. كما اتخذت الآلة الواحدة في كثير من الأحيان أسماء متعددة، ولما كانت هذه الآلات ذات صفات مختلفة، سواءً في الصنع أو في طريقة إصدار الصوت أو طريقة العزف عليها، فقد صنفها الأقدمون ووضعوها في فئات ومجموعات بطرائق متباينة؛ فمنهم من اعتمد المادة التي صنعت منها الآلة الموسيقية أساساً للتصنيف كالحجارة والمعادن والجلود والأخشاب، ومنهم من وجد أنَّ طريقة إصدار الصوت في الآلة أمر جدير بالاهتمام. ورأى آخرون أنَّ طريقة العزف هي الأساس في البحث والتصنيف، خير مثال على ذلك ما يرد في الرقم والألواح

27– صادق محمود الجميلى ، المرجع السابق ، ص 55، 56 .

الطينية التي نقشت عليها بعض الآلات الموسيقية والأنغام التي كتبت بالنصوص المسمارية، إذ كانت الأناشيد والأغاني والتراتيل التي كانت تلقن عن طريق الاستماع بمصاحبة آلات النفخ والتي تنقسم الي آلات نفخ خشبية ، آلات نفخ نحاسية ونتطرق إليها في هذا البحث ..

أولا : آلات النفخ الخشبية –

أ – الناي :

يعتبر الناي من الآلات الرئيسية في الموسيقى المصرية منذ الدولة القديمة , ويقال ان المصريين هم الذين اخترعوه , وكان أول من عزف عليه (خوفو عنج) من الأسرة الرابعة والذي كان مقربا للملك (اوسر كاف) وأقام له نصبا تذكاريا كما ظهر في نقش في مقبرة دير المدينة ويمثل (راقصة تعزف الناى) [28] . وهناك رأى بأن الفرس هم الذين اخترعوه [29] وقد شاع تمثيل الناي في مختلف الحضارات .

وأحيانا ما كان يمثل حيوان يعزف الناي فقد عثر في مقبرة أور الملكية على ختم اسطواني عليه نقش قرد يعزف ناي طويل في ظل شجرة بينما تستمع إليه حيوانات أخرى [30].

ب – المزمار :

المزمار من الآلات الموسيقية المنتشرة في الوطن العربي، يقال أنها كانت موجودة من عهد الفراعنة واستمرت إلى يومنا هذا وهى من أهم الآلات الشعبية، وتعتبر آلة المزمار من أقدم آلات النفخ الخشبية الموسيقية. متعددة الثقوب التي تصدر عنها الصوت من جرَّاء اهتزاز الهواء داخل العمود المجوف من الخشب او المعدن عن طريق النفخ في قطعة تُركَّب في طرف الأنبوب تسمى الفوهة (الفمMouthpiece). وكان تصنيف هذه الآلات موضعاً للجدل. فهناك من يصنّفها حسب المادة التي صنعت منها (خشبية أو نحاسية) أو حسب شكلها (أسطوانية أو مخروطية) أو حسب طبيعة الطرف الثاني للأنبوب (أنابيب مفتوحة أو مغلقة) أو حسب طبيعة الفم

28– ثروت عكاشة – الفن المصري القديم .. الهيئة المصرية العامة للكتاب . دار المعارف بمصر 1976 الطبعة الأولي . .ص 1101 .

29– فارمر (هنري جورج) ، تاريخ الموسيقى العربية . ترجمة حسين نصار ، القاهرة . 1956 . ص 15 .

30– أندري مالرو . الدار العربية للموسوعات . سومر فنونها وحضارتها ، 1977 ص 323

المزودة به والذي ينفخ فيه. لكن أفضل تصنيف لهذه الآلات جاء على يد كُرت ساكس (Curt Sachs) وإيرِك فون هورنبوستِل (Erich von Hornbostel) اللذين أقاماه على مبادئ صوتية لصوت الآلة بغض النظر عن شكلها أو مادتها أو أي شيء آخر [31] .

وقد ظهرت من المزمار عدة أنواع منها المزمار المزدوج الذي ظهر في الدولة الحديثة [32] وكان يعرف باسم الزلامى, وعند المغاربة (زنامى) نسبة الي زنام (زمار الخليفة الرشيد) [33] , كما ظهر المزمار المتعدد الانابيب في العصر السلوقى فوجدت امرأة تعزف على هذه الالة في لارسا[34].

وقد ظهرت نماذج لكل من تلك الآلات في النقوش الفارسية منذ زمن بعيد فظهر المزمار علي التحف المعدنية من الفضة من العصر الساسانى وبعده, مثال ذلك طبق من الفضة (القرن8- 9م) في متحف الارميتاج في لينجراد, ودورق من الفضة (القرن 8- 9م) في متحف الفنون الجميلة في ليون[35].

ونظرا لما تتمتع به هذه الآلة من قوة في الصوت فأنها لم تكن مناسبة للأجواء الشاعرية الهادئة التي صورت فيها مجالس الطرب وسط الحدائق الغناء , وفى أبهاء القصور كذلك كان الحال بالنسبة للمزمار المزدوج, أما المزمار المتعدد الأنابيب فحظي باهتمام المصورين لاسيما في النصف الثاني من القرن 16 م فتوجد رسومه في مجموعة جولوبو في متحف الفنون الجميلة في بوسطن وتمثل (أميرا هنديا يعزف المزمار) , وقد نسبها مارتين الي اقارضا [36] .

31- محمد قعقع (الموسوعة العربية) صادر عن المركز العربي للتعريب والتأليف والنشر، دمشق 1998

32- د. محمود احمد الحنفي . موسيقى قدماء المصريين ، ص 57.

33- فايد العموري (الجواري المغنيات) دار المعارف . القاهرة ، 1945 . ص 39 – 40 .

34- أندرى بارو ، المرجع السابق . 323 .

35 - Farmr. (H.G .) o. p cit abb.5-6 .

36 – Martin : (F.R.) The Miniture Painting. Fig. 30

ويبدو إن هذا النوع من المزمار كان موجودا في مصر وفي تركيا, فقد ظهر في تصويرة من مخطوط كشف الهموم (مصر القرن 14م|) في متحف طوبقا بوسراى في اسطنبول [37] .

جـ – البوق او النفير :

أما البوق أو النفير، فهي كلمة عربية كتسمية.. وتظهر في الكثير من الآثار، حيث استعمل في الحروب والاحتفالات.. أما تاريخه وأصله فان أقدم الآثار لآلة البوق هي في العراق القديم، وفي عصر فجر السلالات، وفي مصر في عصر تحتمس الرابع.. وقد انتقل البوق من الشرق إلى أوروبا خلال العصور الوسطى، وقامت أوروبا بتطويره وتحسينه. آلة النفخ الأخرى هي " القرن "، وفي التسمية هي عربية ترجع في أصل اشتقاقها إلى الكلمة الاكدية السامية " قرنو "، وفي الآثار كانت تعمل من القرون العظمية المجففة لبعض الحيوانات، حيث تثقب ببعض الثقوب.. وصنعت أيضاً من عاج الفيل.. أما تاريخ هذه الآلة، فقد وجد أحد النصوص المسمارية المعروف باللغة السومرية، ويرجع إلى عصر ايسن لارسا 1950ق.م، [38] كما جاء ذكره ضمن آلات أوركسترا الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني، وقد انتقلت هذه الآلة إلى أوروبا في القرن الحادي عشر حسب ما ذكره الباحث الألماني شتاورد وآخر آلات النفخ التي يعرض لها مؤلف كتاب (موجز تاريخ الموسيقى والغناء العربي) وهي مزمار الجراب، والتسمية عربية، استعملها ابن سينا في كتابه " الشفاء "،[39]

وتنسب الروايات التركية اختراع البوق إلي الملك الفارسي (منوجهر) [40] إلا أن أول من صنعه من المعدن قدماء المصريين. وقد ارتبط منذ ظهوره بالنواحي العسكرية فظهر في نقش جداري يمثل حرس الملك امينوفيس الرابع من نقوش مقابر العمارنة [41].

وقد استمر كذلك في العصر الإسلامي وكان من أهم الأدوات الموسيقية لدى الطبلخاناه وملازما لرسوم المناظر الحربية, مثال ذلك تصويرة من مخطوط (خاوران نامة) لابن حسان تحمل تاريخ

37– فارمر . (هنرى جون) المرجع السابق . ص 97.

38– أنيس محمود معيدي . مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية المجلد 24 العدد 3،2016، ص 1354.

39– عبد الحميد المعيني . آلات الغناء في شعر العصر الجاهلي، مجلة الحياة الموسيقية العدد٤٦ ،وزارة الثقافة سوريا، دمشق، ص 37. 2008م .

40– فارمر . (هنرى جون) المرجع السابق . ص 426.

41– د. محمود الحنفي . المرجع السابق . ص ..90

881 هـ (1477م) من عمل المصور فرهاد محفوظة في مجموعة خاصة بأمريكا [42]. كما ظهر الي جانب هذا الشكل من الابواق بوقا يعرف بـ((الكرنای)) [43], وهو نفير به تقوس في مقدمته علي شكل حرف وقد صبح هذا الشكل من أهم خصائص الموسيقى العسكرية منذ النصف الثاني من القرن 15م وحتى نهاية العصر الصفوي فترى نماذج له في تصويرة أخرى من مخطوط مر على شيرنوائي 931_ 932هـ, (1526_1527م) تنسب لشيخ زادة ومحفوظة في المكتبة الاهلية في باريس وتمثل ((الاسكندرية الاكبر في معركة ضد دارا [44]. كما ظهرت الابواق في تصاوير لعب البولو ويظهر ذلك في رسم من الشاهنامة (القرن 10هـ_16هـ) محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة وتمثل (لعبة البولو) .

ثانيا – الآلات الإيقاعية :

أ – الدف :

هو عبارة عن إطار خشبي يشد على جهة واحة منه قطعة من الجلد يمسكه العازف باليد اليسرى وينقر على الجلد باليد اليمنى ولا يحتوي على صنوج معدنية . ويوجد منه نوعان: المستطيل, والمستدير , ويعتبر المستطيل أقدم إذا وجد منذ العصر الفرعوني واستمر مستعملا حتى نهاية الأسرة 18 ووجد على منحوتة تمثل الملك الأشوري سنحاريب (704 – 601 ق.م), عثر عليها في نينوي ومحفوظة في متحف برلين [45]. ووجد بعد ذلك عند العرب وأطلق عليه (المربع) وكان سائدا خلال عصر الخلفاء الراشدين وطوال القرن الاول الهجري. أما النوع المستدير فيعتبر من أكثر الآلات الإيقاعية ظهورا . وبالإضافة إلي مناظر الطرب كان الدف من أهم الآلات مع الناي في حلقات

42 – Robinson . (B.W.) Persian Miniature. Pl. 13.

43– هنرى جورج فارمر . المرجع السابق . ص.429 .

44 – Welch, (S.C.) ;Persian Painting. Pl.14.

45 – د. صبحي انور رشيد (الآلات الموسيقية في العصور الأشورية) ، المجلة الموسيقية ، العدد 15. مارس 1975 ص .34. .46 – د . محمود احمد الحنفي . موسيقى قدماء المصريين ، ص 5

سماع الصوفية. وقد ظهر الدف علي كثير من التحف التطبيقية الخزفية المعدنية الخشبية من مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي [46].

ب – الطبل :

يتألف الطبل من إطار خشبي دائري الشكل تشد عليه من الجهتين قطعة من الجلد ، كما يشد على إحدى الجهتين سلك أو وتر جلدي يحمل الطبال آلته على صدره بواسطة نطاق جلدي ويستعمل بيده اليمنى عصا ذات رأس كروي من اللباد أو الخشب ويمسك في يده اليسرى عصاء أو ذراع من الخيزران بدون رأس .[47]

إن أقدم قطعة أثرية تحتوي على مشهد لاستعمال الطبل الكبير جاءت من العراق ، وهي مسلة سومرية من الحجر يرجع زمنها إلى حوالي 2000 ق م. وهي موجودة في المتحف العراقي . بمرور الزمن تعددت أحجام وأشكال الطبول واستمر استعمالها لغاية الوقت الحاضر . [48]

توجد منه أنواع متعددة مثل : الطبل باز وهى طبلة صغيرة من المعدن تقرع بواسطة شريط من الجلد أو القماش [49], ويوجد نموذج لها في المتحف الحربي في ميونخ من النحاس المطعم بالذهب ومحاطة بإطار من القطيفة الحمراء ومزخرفة بفصوص بارزة وترجع إلي القرن 17م[50] .

والكوبة : وهي طبلة مدورة النهايتان تستدق في الوسط تغطى بالجلد من ناحيتين وتقرع بالأصابع وتعلق علي صدر العازف [51], وكانت هذه من أكثر الأنواع ظهورا فقد ظهرت في النقوش والتحف الإيرانية منذ العصور الساساني واستمرت فيما بعد العصر الساساني على التحف المعدنية مثل دورق من فضة (القرن 8 – 9م) محفوظ في متحف الفنون الجميلة في ليون, وعلى طبق من الخزف المرسوم باللون الاسود(القرن 12م) محفوظ في المتحف الوطني لفيكتوريا في ملبورن.

46– المرجع السابق

47– صادق محمود الجميلي . تاريخ إعلام الصحابة . دار المعالي للطباعة . 1999ص 41 .

48– محمود احمد الحنفي . المرجع السابق ص 69 .

49– فارمر (هنرى جورج) الموسيقى والغناء في ألف ليلة وليلة . ص . 45

50 – د . حسين علي محفوظ ، معجم الموسيقى العربية . بغداد . 1964 م ص 40 .

51– د صبحي أنور رشيد . الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية . دار الحرية للطباعة – بغداد – 1975 . ص . 275

والملاحظ انه في كل رسوم الطرب في المخطوطات كان يكتفي بالدف كآله إيقاعية إلا انه قد حدث بعض التغير في رسوم الدراويش في نهاية القرن 16م, وشمل هذا تغيرا في الآلات الموسيقية , فنرى في رسوم الدراويش التي رسمها المصور ((محمدى)) يرسم احد الموسيقيين يضرب الكوبة [52].

وبالإضافة إلي ذلك فقد ظهرت أنواع من الطبول الكبيرة التي ظهرت في صور المواكب ومناظر الصيد والطبل الكبير هو عبارة عن طبلتين كبيرتين تحملان على جانبي الفرس أو البعير. وكذلك توجد طبلة مغولية كبيرة يحملها رجلان ويقوم ثالث بالطرق بمطارق خشبية تنتهي بشكل كرة, وقد ظهرت بوضوح في رسم من خطوط جامع التواريخ (تبريز بداية القرن 14م) محفوظ من مكتبة جامعة أدنبرح وتمثل (حرب المغول لفتح قلعة قصدار) [53]. ولم تكن الطبول وقفا علي الفنون العربية فقط بل ظهرت في كافة الفنون ، وهي من أكثر الآلات تنوعا واختلافا من مكان الي آخر كما هو الحال في الوقت الحاضر .

ج الصنوج :

وقد ارتبط هذا النوع من الآلات الإيقاعية بالراقصات إثناء رقصهن, والملاحظ إن الراقصات في العصر الساساني كن يمسكن بأثنين من الجلاجل المعدنية الكبيرة الحجم مثال ذلك إناء من الفضة يرجع إلي القرن 8م محفوظ في متحف الارميتاج في لينجراد وكانت الصنوج أكثر ظهورا في الصور والتحف التطبيقية التي ترجع إلي العصر الصفوى حيث أصبحت الصنوج عبارة عن قطعتين مستطيلتين من المعدن تمسك بها الراقصة. ويظهر ذلك بوضوح في ديوان حافظ 940هـ (1533م) محفوظ في مجموعة خاصة في جامعة كمبردج وتمثل محبين في مجلس طرب [54], وتظهر الراقصتان وقد امسكت كل منهما بأثنتين من الصنوج في كل يد, ويظهر نفس الشكل من الصنوج في رسم من الشاهنامة 967هـ (1560م) . محفوظ في مكتبة المكتب الهندي في لندن , وتمثل

52 – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي – إحياء علوم الدين– دار المعرفة – بيروت –1983 ص 272.

53– farmar . (H.G).OP cit. abb. 70 .

54 – Welch (S.A) ; Persian Painting . pl 15.

(بهرام جور مع شنكل ملك الهند في مجلس طرب)[55]. كما ظهرت الراقصات يمسكن بالصنوج علي التحف التطبيقية التي ترجع لنفس الفترة ومن ذلك صحن من الخزف المتعدد الالوان حوالي 957هـ (1550م) ومحفوظ في متحف فكتوريا والبرت في لندن [56]. وتعتبر الصنوج من اقدم الآلات الايقاعية فقد وجدت منذ العصر الفرعوني في رسوم الراقصات , وقد تبقي في المتحف البريطاني بعض نماذجها [57].

النتائج :

إن دراسة الآلات الموسيقية يمكن ان نستنتج منها العديد من النتائج , إذا أنها تدل علي التقدم الصناعي نظرا لما تتطلبه صناعتها من دقة متناهية ومهارة صناعية فائقة , كما يدل شكل الآلة وعدد أوتارها وطريقة العزف عليها علي مدى التقدم الفني والعلمي إن شكل الآلة ينم عن الألحان التي يمكن إن تؤدي عليها والذي يرتبط بدورة بالتقدم والتحضر فكلما كانت الآلة متعددة الأوتار يؤدي كل وثر عددا من النغمات دل ذلك على مدنية موسيقية والذي لا يمكن الوصول إليها إلا بتقديم علمي إذ إن الآلات الموسيقية ترتبط بالكثير من العلوم مثل الرياضيات والفيزياء .

المراجع :

1 – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي – إحياء علوم الدين– دار المعرفة – بيروت – 1983 .

2 – ابو علي الحسن بن عبدالله . (ابن سينا) جوامع علم الموسيقى، من كتاب الشفاء .

3 – أحمد تيمور باشا ، الموسيقي والغناء عند العرب القاهرة 1963 ص 124 .

4 – اندري بارو : بلاد اشورنينوى وبابل (موسيقى بلاد الرافدين) ، ترجمة د. عيسى سليمان ، سليم طه التكريتي ، العراق سلسلة الكتب المترجمة ،1980 .

5 – أنيس محمود معيدي . مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية المجلد 24 العدد 3 . 2016 .

55– Robinson .(B . W) ; op cit pl 49

56 – Pope. (A.U) ;A Survey Vol . V . pl . 7928 .

57– Anderson.(R.D .) ; Musical instruments Oxford.1976figs. 23.34

6 – ثروت عكاشة – الفن المصري القديم .. الهيئة المصرية العامة للكتاب . دار المعارف بمصر 1976 الطبعة الأولي

7 – حسين علي محفوظ ، معجم الموسيقى العربية . بغداد . 1964 م

8 – رشيد صبحي أنور .الموسيقى في العراق القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد.1988 .

9 – صادق محمود الجميلي . الملاهي وأسمائها من قبل الموسيقى . مجلة المورد . مجلد 13 العدد 4، بغداد، 1405هـ . 1984 م

10 – صبحي انور رشيد (الآلات الموسيقية في العصور الأشورية) ، المجلة الموسيقية ، العدد 15. مارس 1975 .

11 – صبحي أنور رشيد . الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية . دار الحرية للطباعة – بغداد – 1975 .

12 – طه ندا . فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية . الإسكندرية ، بدون تاريخ

13 – ظمياء محمد بن عباس : من المخطوطات العربي في الموسيقى ، مجلة المورد ، العدد 4 م 13 ، بغداد

14 – عبد الحميد المعيني . آلات الغناء في شعر العصر الجاهلي، مجلة الحياة الموسيقية العدد٤٦ ،وزارة الثقافة سوريا، دمشق، . 2008م .

15 – فارمر (هنري جورج) ، تاريخ الموسيقى العربية . ترجمة حسين نصار ، القاهرة . 1956 .

16 – فارمر (هنري جورج) الموسيقي والغناء في ألف ليلة وليلة ، ترجمة : حسين نصار ، دار الفكر الحديث ، القاهرة ،

17– فايد العموري (الجواري المغنيات) دار المعارف . القاهرة ، 1945 .

18 – محمد قعقع (الموسوعة العربية) صادر عن المركز العربي للتعريب والتأليف والنشر، دمشق 1998.

19 – محمود احمد الحنفي : الرباب أصل الآلات الموسيقية ، المجلة الموسيقية . العدد 16 أبريل 1975.

20 – محمود ألحفني / موسيقي قدماء المصريين ، دار المطبوعات الراقية القاهرة 1936.

21 – نبيل محمد عبد العزيز احمد . الطرب وآلاته في عصر الأيوبيين والمماليك ، الطبعة الأولي ، مكتبة الانجلو، القاهرة 1980